



## معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2024-07-24

تاريخ القبول: 2024/11/15

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

## إطالة على الوجود التعليمي الغربي في المجتمعات المسلمة

دراسة مقارنة بين التعليم في عهد الخديوي اسماعيل ومصطفى أتاتورك

## A view of the Western educational presence in Muslim Communities

## A comparative study between education during the reign of Khedive Ismail and Mustafa Ataturk

محدد كهيبة

جامعة الجلفة . الجزائر

mahdid.kahina@gmail.com

## ملخص :

تعتبر التعليم الديني النموذج الأول لنظام التعليم في الدول المسلمة قديما والذي يرجع إليه الفضل في نشر العلم بين الناس بالرغم من بدائية طرق التعليم آنذاك، غير أنها لعبت هذه الأخيرة دورا هاما في نشر التعليم ومحو الأمية بين الناس وكان هذا النوع من التعليم سائدا في كل من عهد الخديوي إسماعيل في مصر وكمال أتاتورك في تركيا لكن أدخل كلاهما إصلاحات فيما يخص التعليم في مجتمعهما وفي هذه الدراسة تهدف إلى معرفة الإصلاحات التي أتى بها كل من الخديوي إسماعيل وأتاتورك، و معرفة كيف تعامل كل من الخديوي إسماعيل وأتاتورك مع التعليم الديني ومعرفة أوجه التشابه والاختلاف في الإصلاحات التي انتهجها كل من الخديوي إسماعيل وأتاتورك.

الكلمات المفتاحية: التعليم، الإصلاحات، النظام التربوي

## ABSTRACT

religious education are considered the first model of the education system in ancient Muslim countries, which is credited with spreading knowledge among people despite the primitiveness of education methods at that time. However, the latter played an important role in spreading education and eliminating illiteracy among people. This type of education was prevalent in both the era of Khedive Ismail in Egypt and Kemal Ataturk in Turkey, but both of them introduced reforms regarding education in their societies. This study aims to know the reforms brought by both Khedive Ismail and Ataturk, and to know how both Khedive Ismail and Ataturk dealt with religious education and to know the similarities and differences in the reforms adopted by both Khedive Ismail and Ataturk.

**Keywords:** Education, Reforms, Educational System

## اشكالية الدراسة:

مقدمة: الحديث عن المدارس الأجنبية حديث يتلاقى ويتماس مع كثير من نقاط واقعنا المعقد؛ فهو يتناول التربية العقديّة بمفهومنا ولفظنا، كما يتناول التنشئة السياسية من جهة أخرى، ويتناول قضية الهوية بجوانبها وتشعباتها، وهي سر من أسرار تحلف التنمية، ولها ظلالها الإعلامية والتعليمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، ويمس عصب الأمن القومي . ولكي نتصور القضية تصوراً صحيحاً لا بد أن نضع في اعتبارنا عدة أمور : أن التعليم الأجنبي يأتي ضمن منظومة واسعة لتغريب الأجيال وإبعادهم عن دينهم تتضمن التعليم والإعلام والثقافة، ويتستر خلفها التبشير والاستشراق والاستعمار، وتساندها بقية الأدوات .

**حيث أن** الكلام حول التعليم الأجنبي يتناول المدارس الأجنبية ومدارس الإرساليات التبشيرية ومدارس الجاليات بالأصالة، كما يشير إلى مدارس اللغات والمدارس التجريبية التي تفقو أثر المدارس الأجنبية . وإن تسمّت بأسماء عربية . بالتبعية، كما يتطرق الحديث إلى الابتعاث إلى الدول الغربية . **في حين** أن حديثنا عن دور ومخاطر هذا النوع من التعليم يزيد من شأنه . ولا يهون . ما يتم للتعليم الوطني اليوم في كثير من بلادنا الإسلامية تحت مسميات التطوير والتحديث، ضمن ما يعرف بالعملة التعليمية التي ترعاها المؤسسات الدولية وتدفع إليها الدول الغربية.

قد كان الغرض الملح على العقل الأوروبي من بناء المدارس . كما قلنا . هو حل المسألة الشرقية من الداخل بعد أن استغلق حلها من الخارج .. والناظر في تاريخ سقوط الخلافة يعلم بحق أثر هذه المدارس في الكيد لأهل الإسلام؛ فقد لعبت دوراً أعظم مما أداه جميع سفراء الدول ومعتمديهم السياسيين باعتراف الغرب نفسه

ويجد ، «الكتاب» وجمعها «كتاتيب» النموذج الأول لنظام التعليم في الدول المسلمة قديماً والذي يرجع إليه الفضل في نشر العلم بين الناس بالرغم من بدائية طرق التعليم آنذاك، غير أنها لعبت الكتاتيب في نشر التعليم ومحو الأمية بين الناس وكان هذا النوع من التعليم سائداً في كل من عهد الخديوي إسماعيل في مصر وكمال أتاتورك في تركيا لكن أدخل كلاهما إصلاحات فيما يخص التعليم في مجتمعهما، ومن خلال هذا البحث سوف نحاول الإجابة عن:

- ما هي الإصلاحات التي أتى بها كل من الخديوي إسماعيل وأتاتورك؟
- كيف تعامل كل من الخديوي إسماعيل وأتاتورك مع التعليم الديني؟
- ما هي أوجه التشابه والاختلاف في الإصلاحات التي انتهجها كل من الخديوي إسماعيل وأتاتورك؟

## 2/ مفاهيم الدراسة:

### 1-2/ المدرسة:

هناك العديد من التعريفات التي تناولت مفهوم المدرسة إلا أن أغلب الباحثين يميلون إلى تبني المفهوم النظامي الذي يعرف المدرسة على أنها مؤسسة اجتماعية معقدة مستجمعة في ذاتها لمنظومة من العلاقات البنوية المتبادلة بين مختلف جوانبها وأنه لا يمكن إحداث تغيير في أحد أجزائها دون التأثير في بنيته الكلية وأنها تهدف إلى تحقيق التواصل بين تجربة التعليم المدرسية

والتجارب الاجتماعية، وعليه تتباين تعريفات المدرسة بتباين الاتجاهات النظرية في مجال علم الاجتماع التربوي وتنوع هذه التعريفات بتنوع مناهج البحث الموظفة في دراستها ويمكننا في دائرة هذا التعدد المنهجي في تعريف المدرسة استعراض مجموعة من المفاهيم التي تؤكد على بنية المدرسة تارة وعلى وظيفتها تارة أخرى.

ويعرف فيرديناند بويسون المدرسة: بأنها مؤسسة اجتماعية ضرورية تهدف إلى ضمان عملية التواصل بين العائلة والدولة من أجل إعداد الأجيال، ودمجها في إطار الحياة الاجتماعية

كما يؤكد المفكر من خلال هذا التعريف على الدور الوظيفي للبناء المدرسي وتفاعله مع البناءات الاجتماعية بغرض تحقيق الاندماج والتكيف الاجتماعي من خلال مختلف الأدوار التي تقدمها المدرسة للأجيال المتعاقبة كما تعرف المدرسة بأنها مؤسسة اجتماعية تمارس وظيفة التطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية وذلك بغية تحقيق مجتمع صالح.

ويعرفها فريدريك هاستن "على أنها نظام معقد من السلوك المنظم والذي يهدف إلى تحقيق جملة من الوظائف في إطار النظام الاجتماعي القائم"

## 2-2/ التعليم :

للتعليم معاني كثيرة تختلف باختلاف قائلها وفلسفته التربوية ومحور اهتمامه. فمن المربين من يركز جل اهتمامه على المعارف والمعلومات التي يحاول المدرس أن يوصلها لتلاميذه، في حين يعني البعض الآخر بنمو شخصية المتعلمين ويهتم فريق ثالث بمخرجات التعلم، كما تنعكس في سلوك الأطفال عقليا/معرفيا ووجدانيا ونفسيا وحركيا.

وهو تصميم منظم والمقصود به الخبرات التي تساعد المتعلم على انجاز التغيير المرغوب فيه في الأداء (مرعي، 2003، صفحة 81)

## 2-3/ النظام التربوي:

تعددت المفاهيم النظام التربوي، حيث يعرفه معجم علوم التربية ومصطلحاتها "هو مجموعة من العناصر والعلاقات التي تستمد مكوناتها من النظم السياسية والاقتصادية والسوسيوثقافية وغيرها، لبلورة غايات التربية ولأدوار المدرسة ونظام سيرها ومبادئ تكوين الأفراد الوافدين إليها". (وأخرون، 1994، صفحة 308)

في حين يعرفه محمد عاطف غيث في قاموس علم الاجتماع "النظام والنسق الاجتماعي الذي يشمل الأدوار والمعايير الاجتماعية، التي تعمل على نقل المعرفة من جيل إلى جيل آخر، والنظام التربوي لا يشمل فقط على التنظيمات الرسمية المخصصة للتربية، وإنما يشمل بالإضافة إلى ذلك على الوسائل التي حددها المجتمع لنقل التراث الثقافي". (غيث، 2005، صفحة 153)

فالنظام يشتمل على الأدوار والمعايير الاجتماعية التي تعمل على نقل المعرفة من جيل إلى جيل، كما ينطوي على تعليم مهارات وقيم أساسية لازمة لاستمرار المجتمع.

## 3/ أهداف الدراسة:

- تطبيق المداخل البحثية الجديدة في البحوث التربوية المقارنة
- معرفة الإصلاحات التي أتى بها كل من الخديوي إسماعيل وأتاتورك.
- معرفة كيف تعامل كل من الخديوي إسماعيل وأتاتورك مع التعليم الديني.
- استعمال المنهج المقارن لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف في الإصلاحات التي انتهجها كل من الخديوي إسماعيل وأتاتورك.

#### 4/ المنهجية المستعملة في البحث:

لكي يصبح البحث علميا على الباحث أن يلتزم بخطوات وطرق منهجية حتى يصل إلى نتائج أكثر دقة وهذا الأسلوب يساعد على تركيز الجهد واختصار الوقت وحصر العمل في نطاق البحث المطلوب (مبارك، 1997، صفحة 19) لذلك فأي دراسة علمية لا بد أن تسير وفق طريقة محددة ومنهج واضح يصف نتائجه ويحدد خطواته، وتختلف طبيعة المناهج المتبعة في الدراسات باختلاف المواضيع المطروحة وطبيعة معالجتها، ونظرا لطبيعة موضوع دراستنا والذي يهدف أساسا إلى المقارنة بين في الإصلاحات التي انتهجها كل من الخديوي إسماعيل وأتاتورك، لهذا ارتأينا استعمال المنهج الكيفي والذي يتلاءم والدراسة والذي تهدف إلى "التوغل في موقع البحث للحصول على فهم متعمق للأحوال السائدة في الموقع، والسبب في وجودها على النحو الذي توجد عليه " (علام، 2013، صفحة 41) وهذا ما جعلنا نستعمل المقارنة الكيفية والتي يجمع فيها الباحث جميع الاخبار عن موضوع الدراسة عن طريق التراث المعرفي حول الظاهرة المدروسة والقيام بالتعليق على تلك المعلومات اعتمادا على المخزون العلمي الذي يحوزه الباحث حول الظاهرة.

وبالتالي استندت هذه الدراسة على استعمال المنهج المقارن وذلك لفهم متكامل حول الظاهرة فاتبعت تحليل متعجد المستويات اعتمدت على جانبين الأول أمامي والمتعلق بالمستوى الجغرافي والثاني رأسي والمتعلق التربية والتعليم والثقافة والسياسة هذه الدراسة اعتمدت على مجموعة من الكتب والبحوث المنشورة.

#### 5/ التعليم في عهد الخديوي إسماعيل

##### 5-1/ التعريف بالخديوي إسماعيل:

الخديوي إسماعيل "1830-1895" خامس حكام مصر من الأسرة العلوية وذلك من 18 يناير 1863 إلى أن خلعه عن العرش السلطان العثماني تحت ضغط كل من إنجلترا وفرنسا في 26 يونيو 1879 في فترة حكمه عمل على تطوير الملامح العمرانية والاقتصادية والإدارية في مصر بشكل كبير ليستحق لقب المؤسس الثاني لمصر الحديثة بعد إنجازات جده محمد علي باشا الكبير.

##### 5-2/ التعليم في عهد الخديوي إسماعيل:

##### 5-2-1/ المرحلة الأولى:

لم تكن هناك مدارس سوى مدرسة ابتدائية ومدرسة تجهيزية والمدرسة الحربية في القلعة ومدرسة الطب والصيدلة والولادة وكلها بالعاصمة ومدرسة بحرية بالإسكندرية وكانت كلها سيئة من حيث كيانها ونظامها.

فأوكل إسماعيل بأمر إصلاحها إلى الأدهم باشا وهوم ثاني من تولى وزارة المعارف في عهد محمد علي، ففي سنة 1864 أسس مدرسة التين بجوار السرايا الخديوية بالإسكندرية ومدرسة الناصرية بمصر، وهذه المدرستان ظهرتتا بمظهر جديد فكانتا عنواناً للنظافة والنظام الكامل، تعلم فيها العربية، الفرنسية، الإنجليزية، المانية، الجغرافيا والرسم والحساب العادي والعالي، وكان هناك قسمان داخلي وخارجي وكان الطلبة يتغذون في غرفتي طعام عظيمتين ما عدا أبناء الباشاوات والباكات في مدرسة الناصرية يتغذون لوحدهم، وفي سنة 1875 في بنها أسست مدرسة عظيمة حوت 300 طالب يعلمهم 11 معلّم وفي السنة عينها قرر انشاء مدرسة للفنون والصنائع فوضع دوبر باشا نظامها وذلك موازاة مع ازدهار الصناعة المصرية اثر ارتفاع أسعار القطن الناجم عن الحرب الأمريكية الأهلية، ثم أغلقت هذه المدرسة وأعيد فتحها في سنة 1868، ولما كانت الألفاظ الاصطلاحية الخاصة بالفنون والصنائع غير متداولة ألف مدير المدرسة الواجي جون قاموس، وفي سنة 1876 أنشئت مدارس صناعية غيرها ليحول إليها التلاميذ من البلدات عوض الذهاب إلى المدرسة الحربية يتعلمون فيها صنائع لعيشوا منها والمصنوعات كانت تباع وتصرف إلى التلاميذ عند التخرج ليخرج للحياة العملية وهو مسلح، وما ميزت هذه المدارس هي مجانية التعليم حيث تشمل الكسوة والأكل. (الأيوبي، 2013، الصفحات 184-185)

## 5-2-2/ المرحلة الثانية:

لكن هنا أدرك الخديوي أن إنشاء مدارس مستقلة لا ترمي إلى الهدف وهو تعميم التعليم بل عليه أن يكون ارتباطا لاكلف لجنة تحت إدارة علي باشا مبارك ناظر المعارف والأشغال العمومية كلف بوضع قانون أساسي للتعليم العام تكون المدارس بموجبها كلاً منظماً ذا أجزاء مندمجة، هذه اللجنة اشتغلت بشكل جدي وأخرجت إلى الوجود اللائحة المعروفة باسم لائحة 1<sup>1</sup> رجب سنة 1874 وهي لائحة ذات 40 مبدأ مبنية على أساسين هما:

- مساواة المدارس مساواة تامة.

- تضامن جميع المدارس في نظامها وتعليمها.

فقسمت المدارس إلى، مدارس مدارس مديريات وهي مدارس ابتدائية وفق اللائحة التي قررت تعميم انشائها في كامل المديريات تدرس قرآن عربية، فرنسية، الحساب، هندسة، رسم، وكانت للتلاميذ مجانية التعليم المطلقة وتحتوي نظامين داخلي وخارجي، وثانوية وتقرر أن تكون ثلاث مديريات على الوجه البحري واربع مديريات في الوجه القبلي وتمتّع بمجانبة المطلقة للتعليم، ومدارس عالية وهي تسع ثمانية في مصر وواحدة في الإسكندرية وكانت أهمها بوليتكنيك ومدرسة الطب..، لكن كانت الكتاتيب لا تزال تنشط مستقلة عن الحكومة لكن مستها بعض الالزاميات وذلك بتعليم الحساب، وشدت على رفع المستوى العقلي للتلاميذ من أجل أن يكونوا مؤهلين للدخول لمدرسة أعلى درجة فقررت لها أدوات مدرسية وكتب وإدخال تعلم لغة اجنبية ومبادئ الجغرافيا والتاريخ، ثم بعد ذلك استدعى الخديوي أستاذا من سويسرا موور أعطاه الباكوية ونصبه مفتشاً للمعارف كلفه بتنظيم المدرسة وتوسيع نطاقها على النهج الأوروبي حيث خصص ميزانية سنوية للتعليم كما حول مدرسة الإدارة إلى الحقوق، واللغات إلى معهد لتخريج مترجمين ومنشئين يشتغلون بالإدارة، كما أصدر أمر بإنشاء مدارس للبنات ومدارس للخرس والعميان وأنشأ دار الكتب المصرية وصحيفة الوقائع المصرية. (الأيوبي، 2013، صفحة 187)

لكن رغم الجهود إلا أنها كانت قليلة وذلك لنقص المال لأنه قام بحركة تمدنية تناولت كل مظاهر الحياة القومية فلم يعد بالإمكان الانفاق على التعليم برغم شدة الرغبة فيه والرغبة في توسيع نطاق الانفاق عنه غير أن نقص الرجال ومجانبة التعليم كانت عائقاً في

وجه توسيع واستمرار التعليم والتي ترتبت عنها ضررين هما حصر التلاميذ الممكن قبولهم فب المدارس وحرمان الكثير، وكذا فقدان الطلبة حرية اختيار المدرسة الثانوية والعليا ولك اولت الحكومة لنفسها الحق في ذلك. (عوض، 2017، صفحة 102)

### 5-3/ تقييم:

شهدت نوعية في جودة التعليم في مصر كما مشروع قانون تنظيم المدارس هنا أصبح واضحا تطور النظرة للتعليم، والملاحظ أن سياسة التعليم أخذت طابعا تنظيميا تخطيطيا أكثر شمولاً على ما كان عليه حيث عرفت تقسيم المدارس بين المدن والقرى ونسبة السكان إلى عدد المدارس التي يحتاجونها بالإضافة إلى الجوانب المالية وكيفية توفيق الأموال، والملاحظ أيضاً التوجه المركزي في تخطيط لسياسة التعليم زد عن ذلك أهم شيء هو استرداد البرامج وتسيير المدارس على النهج الأوروبي.

كان انتشار المدارس الأجنبية في مصر مكثفاً ومقصوداً حتى إنها الآن تبلغ عشرات الآلاف من المدارس، وتبلغ نسبة الدارسين فيها من المسلمين 52% من الطلاب بمصر، ويشير مؤرخو المدارس الأجنبية أن الجالية اليونانية كانوا كلما حلوا في بلد أنشؤوا فيه كنيسة ومدرسة كما فعلوا في الإسكندرية عام 1843م ثم في المنصورة، وطنطا، وبور سعيد، والسويس، والقاهرة وغيرها، وهكذا الجالية الإيطالية منذ عام 1862م، والجالية الألمانية عام 1866م، واليهود منذ عام 1872م، والمارونيون السوريون، وكانت أولى الجاليات الجالية الأرمنية عام 1828م في بولاق . أما عن تعليم البنات فقد كان هناك مدرستان في أواخر العقد السادس من القرن الماضي للتعليم العام بحي الأزبكية: واحدة تابعة للكنيسة الأرثوذكسية، والأخرى تابعة لكنيسة الأقباط الإنجلييين. وفي عام 1904م أنشأت الكنيسة القبطية أول مدرسة صناعية ببولاق.

وقد عملت كثير من هذه المدارس بمبدأ الموازنة واستغلال الفرص المتاحة؛ بحيث تظهر ما جاءت من أجله كلما سنحت الفرصة، وتتستر حين تضيق عليها الأمور.

### 6/ التعليم في عهد مصطفى كما أتاتورك:

#### 6-1/ التعريف بمصطفى كمال أتاتورك:

مصطفى كمال أتاتورك بالتركية *Mustafa Kemal Atatürk* ولد في 19 مايو - 1881 توفي 10 نوفمبر (1938) وهو قائد الحركة التركية الوطنية التي حدثت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وهو الذي أوقع الهزيمة في جيش اليونانيين في الحرب التركية اليونانية عام 1922، وبعد انسحاب قوات الحلفاء من الأراضي التركية جعل عاصمته مدينة أنقرة، وأسس جمهورية تركيا الحديثة، فألغى الخلافة الإسلامية وأعلن علمانية الدولة.

ولقد أطلق عليه اسم الذئب الأغبر، واسم أتاتورك (أبو الأتراك) وذلك للبصمة الواضحة التي تركها عسكرياً في الحرب العالمية الأولى وما بعدها وسياسياً بعد ذلك وحتى الآن في بناء نظام جمهورية تركيا الحديثة.

#### 6-2/ التعليم في عهد مصطفى كما أتاتورك:

أقر كمال أتاتورك على أن الدولة التركية هي دولة علمانية وإصلاحية كما عمد على إلغاء وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية، (مهدي، 1983، صفحة 26) " فعندما استلم مقاليد الحكم، ألغى الخلافة الإسلامية، وطرد خليفة المسلمين من

البلاد ، ونبد الشريعة الإسلامية ، وألغى منصب شيخ الإسلام ، وألغى المحاكم الشرعية ، وألغى المدارس الدينية ، وحدد عدد المساجد التي يجوز الصلاة فيها ، وحول مسجد أيا صوفيا إلى متحف ، وحول مسجد الفاتح إلى مستودع.

وألغى الكتابة بالحروف العربية والأرقام العربية وحرم الكتابة بها ، وألزم الكتابة بالحروف اللاتينية ، ومنع الأذان بالعربية ، وألزم الشعب التركي بلبس القبعة الأوربية وخلع الطربوش التركي من فوق رأسه . حتى القرآن ترجمه وفرض قراءته دون الأصل العربي".  
(العزیز و الملاصم، 2010، صفحة 359)

خلال الأعوام التي أمضاها كمال أتاتورك في رئاسة تركيا أورد نظاما سياسيا جديدا فجعل الحكومة والتعليم يخضعان للعلمانية بالإضافة إلى كتابة التركية بحروف لاتيني قرر إلغاء التدريس باللغة العربية والفارسية منذ عام 1982 ، وبقيت اللغة التركية الوحيدة الإلزامية في المدارس العليا. (هيمكان و هيلغمين، 2017، صفحة 209)

كما أصدر قرار يقتضي بغلق الزوايا الموجودة بالدولة وكافة الطرق الصوفية وذلك بتكريس النظام العلماني، كما عمل على إعادة كتابة تاريخ تركيا وجردت اللغة العربية والفارسية من المفردات التركية واستبدلت بكلمات أوربية. (لقاء، 2006، صفحة 09)  
ويمكن تلخيص التعليم التركي في عهد أتاتورك:

عندما أعلن أتاتورك قيام دولة تركيا الحديثة والعلمانية، ووجوب أن تخلق تركيا بالحضارة الغربية، وعلم أن المدخل إلى ذلك هو التعليم حيث أن ( 90%) من الأتراك أميين وأن ثلث السكان من الأطفال دون التاسعة، وأن الفرصة المواتية هي التعليم والتأثير في عقول الأمة بغرس القيم والمفاهيم التي تتبناها الدولة الحديثة لا يتم إلا عن طريق التربية أم بتعميم المدارس والإلزامية التعليم ومجانيتها لكل طفل، وذلك كما يلي:

1- إنهاء ثنائية التعليم التركي بين التعليم الديني والتعليم الحديث، ولهذا صدر في عام 1924م قانون بتوحيد التعليم ووضع جميع المؤسسات التعليمية تحت سيطرة الدولة، وتشرف عليه وزارة التربية الوطنية.

2- إدخال العلمانية في كل صور التعليم وتقليص الجانب الديني

3- تحريم تدريس الدين في جميع المدارس حتى التبشيرية والتزام المنهج العلماني في التعليم.

4- إغلاق أي مدرسة لا تلتزم لهذه الإجراءات.

5- استدعاء عدد من التربويين المشهورين في ألمانيا وأمريكا وبلجيكا، وعلى رأسهم جون ديوي لدراسة مشكلات التعليم التركي واقتراح الحلول المناسبة لمواجهتها.

6- شهد تعليم البنات في تركيا في عهد الجمهورية تطورا بارزا إذ ارتفعت نسبة البنات الملتحقات بالتعليم الابتدائي من

(18.4%) عام 1923م ، إلى (35%) عام 1932م ، كما ارتفعت نسبتهن في التعليم الثانوي من (10.8%) إلى

(19.5%) ، وفي التعليم الفني من (21%) إلى (34.5%) في نفس الفترة (://www.turkey-post.net)

### 6-3/تقييم:

عرفت تركيا نقلة جذرية نحو الحكم الجمهوري بعدما كان مؤسسا على الخلافة، فبالغاء هذه الأخيرة "الخلافة الإسلامية العثمانية" كانت نقطة بداية طويلة من الإجراءات التي قام بها كمال أتاتورك نحو فصل الدين عن الدولة فبالغاء اللغة العربية يظهر جليا

محاربه للدين الإسلامي والمسلمين بالإضافة إلى تغيير المناهج التعليمية والتي كانت تدرس الدين بالإضافة إلى تجريد الدولة التركية من ثقافتها والاتجاه نحو الثقافة الأوروبية واسترداد المناهج التربوية.

يقول جب في كتابه: (وجهة الإسلام): «إن إدخال طرائق جديدة في البلاد الإسلامية كان يتطلب نظاماً جديداً في التربية من عهد الطفولة في المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال للدراسات العالية، وإن إصلاح التعليم [يسميه إصلاحاً] على هذا النحو لم يكن في ذلك الوقت يخطر على بال السلطات المدنية الإسلامية، ولكن الفراغ ملأه هيئات أخرى؛ فقد انتشرت في منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الإسلامية ولا سيما في تركيا وسوريا ومصر؛ وذلك يرجع غالباً إلى جهود جمعيات تبشيرية مختلفة، وقد كان أكثرها عدداً المدارس الفرنسية، وقد كانت المدارس الإنجليزية في الإمبراطورية العثمانية أقل مما في الهند، وكانت المدارس الهولندية قاصرة على جزر الهند الشرقية.» (جب أ.ه.ر، 2015)

في عام 1863م اقترح المنصر هاملين على صديقه روتشيلد اليهودي إنشاء مدرسة ثانوية بجوار «قلعة الروملي» قائلاً: «لقد أنشأ الأتراك حصناً لفتح إسطنبول، وأنا سأنشئ هنا مدرسة لهم». هذه العبارة على وجازتها تلخص لنا الدور الخطير الذي لعبته المدرسة الأجنبية في تفكيك العالم الإسلامي وتفتيت ربحه.

## 7/ المقارنة بين التعليم في عهد الخديوي إسماعيل ومصطفى كمال أتاتورك:

### 1-7/ نقاط التشابه:

- كلاهما كانت لديه استراتيجية للتغيير في نظام الحكم عامة ونظام التعليم بصفة خاصة.
- التكفل بتعليم البنات وازدهار التعليم الفني.
- الاتجاه نحو النهج الأوروبي واسترداد المناهج التي لا تمثل ثقافة مجتمعهم.

### 2-7/ نقاط الاختلاف:

يكمن الاختلاف في أن أتاتورك كان محارباً للثقافة الإسلامية وأغلق كل المدارس القرآنية والزوايا وألغى اللغة العربية من التدريس بها، على غرار الخديوي إسماعيل الذي أبقي التدريس باللغة العربية لكن أضاف اللغات الأجنبية ولم يقيم بعقل المدارس الدينية والكتاتيب بل ضمها إلى التعليم النظامي تحت وصاية المعارف والأشغال العمومية وهي الجهة المسؤولة عن تنظيم التعليم.

## 8/ استنتاج:

الإصلاح التربوي عملية تخطيطية وفلسفة تربوية، لا تركز فقط على تغيير هندسة الأبنية والزمن البيداغوجي والقضاء على كل أشكال الهدر المدرسي، ورفع نسبة التمدرس، بل هو عملية دينامية نسقية ترتبط بالتحول المجتمعي الشامل بهدف تحقيق تنمية مندمجة ومنفتحة على جميع القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بعيدة عن المزايدات والضيق الأيديولوجي، الذي يعطل كل عملية الإصلاح الحقيقي يبدأ بالاعتراف الصريح بأن هناك خللاً ما في مكان ما ويبدأ التعامل الجريء مع الخلل في المكان الذي تم تحديده، هذه مفارقة صارخة، فمن أين يمكننا الإمساك بنقطة الانطلاق لحل المفارقة؟

يقترح إدغار موران في كتابه «الطريق» الذي صدر في سنة 2011 حل مثل هذه المفارقات الدالة على تعقد الظواهر، ومن بينها المشكلة التعليمية، وهو يتحدث عن فرنسا، بقوله بأنه: «لا يمكننا إصلاح المؤسسات بدون إصلاح العقلية، ولا تصلح العقلية بدون إصلاح المؤسسات»، مرتتياً أن فكرة «الإصلاح» يمكن أن تثير الأذهان للتفكير والحوار والنقاش، لكن ليست كل الأذهان قابلة للتفكير والحوار والنقاش، من أجل تجاوز الوضع القائم، حتى إن كان الجميع يقر بسليبيته، فإذا لم تتوفر الإرادة الحقيقية لدى كل الأطراف المعنية بالإصلاح التربوي لا يمكن للحلول المقدمة إلا أن تكون ترفيعات، سرعان ما تستدعي إعادة طرح الإصلاح، وهذا ما حدث إثر عهد الخديوي إسماعيل . لكن المسألة لا تتعلق فقط بالإرادة فإذا افترضنا أن «إرادة الفعل» متوفرة لدى الدولة والمجتمع، نتساءل هل هناك «معرفة الفعل» لدى من ينتدبون للتفكير في الوضعية التعليمية والتخطيط لها؟ وهل هناك حرية الاختيار في التغيير، فمعرفة الفعل نختزلها في «ثقافة الإصلاح» التربوي والتعليمي ومن نختزلها في توفر المختصين لهذه العملية، وحرية الاختيار هي عدم التدخل من جهات خارجية مهيمنة ذات مصالح في الإصلاح التربوي حيث يفرضون إديولوجيات تحدم مصالحهم وذلك بالهيمنة وفرض النظم التعليمية وفرض هويتهم وهذا ما نشهده في إصلاح أتاتورك الذي كان مشبع بالقيم العلمانية .

وبهذا نجد أن أثر التعليم الأجنبي لا يقف عند حد فرد أو مجموعة وإنما تسري سمومه في جسد الأمة وهي تظن أنها تتداوى. والمتأمل في تاريخ بعض الشخصيات التي تربت في هذه المحاضن يجد أن شؤم التحاق فرد ربما عاد على الأمة كلها بالضرر الكبير، ولدينا أمثلة من حاضرتنا تتمثل في أتاتورك رغم أصوله المتصلة باليهود؛ لكن طبيعة نشأته وتكوينه هو ومجموعة الاتحاد والترقي هي التي حركته في الاتجاه الذي سار فيه، و«سنجور» حاكم السنغال السابق الذي نصرته مدرسته . بينما لا يزال أهله مسلمين . وتولت إعداده ليتولى حكم دولة مسلمة بنسبة 99% ويحارب فيها الإسلام، وبعد أن افتضح أمره تفرغ للتصير، وأقيمت جامعة تحمل اسمه لإعداد المنصرين في بلاد المسلمين .

وقل ما هو أعظم من ذلك عن إسماعيل باشا خديوي مصر الذي عاد مع أول بعثة من فرنسا وهو يحل بمصر بتحويل مصر إلى قطعة من فرنسا، ودوره الخطير في تمكين أعضاء الحفل الماسوني من حكم مصر، والسيطرة على قطاع واسع من المنطقة العربية، والذي أعاد الهبات على بعثات التنصير الفرنسية المتعاونة مع الاستعمار من الصين إلى أعماق أفريقيا، وقد ورد في رسالة مسيو «بوجاد» قنصل فرنسا في مصر في 1869/5/2م: «أن إسماعيل منح رئيس أساقفة اللاتين بمصر قطعة أرض مساحتها: 3500 ذراع في موضع حسن جداً ( 150 ألف فرنك ذهب)، ومنح الرهبات إعانة سنوية ( 6 آلاف فرنك ذهب) وهبة ( 200 ألف فرنك)، ومنح أساقفة اللاتين منحة أخرى هي أرض مساحتها 6 آلاف ذراع»(1). وكانت منذ عام 1867م قد بدأت مدارس الاستعمار الفرنسي والبريطاني في العمل في مصر، وجميع عملاء الغرب من رجال الخديوي إسماعيل إنما صنعتهم هذه المدارس . لقد كان شؤم هؤلاء الثلاثة على عقيدة الأمة وعلى عافيتها أمراً لا يمكن الإحاطة بمداه؛ لأن تبعاته ما زالت تتوالى علينا، وقد كان جهدهم ناتجاً عن عقيدة نجح التعليم في تشكيلهم عليها .

ومن العجيب أن نصارى البلاد العربية أبوا أن يلحقوا أولادهم بالمدارس النصرانية الوافدة . وهم أهل دين واحد . غيرة على مذاهبهم وحرصاً على أبنائهم، فأقاموا مدارس خاصة بهم. أما المسلمون فلم تأنف منهم طائفة أن يسلموا أولادهم إلى هؤلاء وهؤلاء! يقول المبشر «تكلي»: «يجب أن نشجع إنشاء المدارس، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي. إن كثيراً من المسلمين قد زرع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية. إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي أمراً صعباً جداً» . لقد حفلت مناهج التعليم الغربي بمجهود المستشرقين في الطعن في الإسلام، وتزيين ما عليه عقيدتهم من باطل، وتحسين مناهجهم وسيرتهم، والفتنة بتاريخهم والتأسي بعظماهم، والفخر بما حققته مدنيته من تقدم مادي، والتنكر لكل ما هو إسلامي وعربي..

كل ذلك ما كان ليبلغ مداه لولا التأسيس لها عقيدياً؛ ولهذا نجد أن كثيراً من أفكارهم الشاذة قد انتقلت من كتبهم إلى بطون الدساتير والقوانين واللوائح العربية، وعبرت عن أفكارهم مئات الصحف والإذاعات، وترجمت إلى آلاف الكتب والرسائل، وأقيم من أجلها ما لا يحصى من المؤتمرات والندوات والجمعيات والهيئات، كل ذلك لم يكن ليتحقق لولا الغزو العقدي الذي مني به طائفة من المسلمين خلال تربيتهم في هذه المدارس، ويسهرون على نشره ونصره بين مجتمعاتهم اليوم.

#### قائمة المراجع:

- 1- لأيوبي، أ. (2013). تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل. مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
  - 2- العزيز، م. ب. &، الملامح، م. ب. (2010). فتح الرحمان في بيان هجر القرآن. دارأس حريمية.
  - 3- علام، ر. م. (2013). مناهج البحث الكمي والنوعي والمختلط. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
  - 4- عوض، م. (2017). جذور التعليم في مصر. مصر: دار الألفة للطباعة والنشر.
  - 5- غيث، م. ع. (2005). قاموس علم الاجتماع. دار المعرفة الجامعية.
  - 6- لقاء، م. (2006). تركيا صراع الهوية. شبكة الجزيرة للبحوث والدراسات.
  - 7- مبارك، م. أ. (1997). البحث العلمي وطريقة كتابته. القاهرة: المكتبة الأكاديمية للنشر.
  - 8- مرعي، ت. أ. (2003). تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتعليم. دار المسيرة.
  - 9- مهدي، ع. أ. (1983). العلمانية وأثرها على الأوضاع الإسلامية في تركيا. الرياض: المكتبة الدولية.
  - 10- هيمكان، ك. &، هيلغمين، ق. (2017). أطلس تاريخ العالم (١.١. عبدو، Trad.). بيروت: مكتبة الشرقية.
- وأخرون، ع. أ. (1994). معجم علوم التربية ومصطلحاتها. المغرب.